الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة البويرة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها.

التكوين في أقسام اللغة العربية و آدابها في نظام ل م د
تجربة الجزائر أنموذجا1

إن الاتساع اللامحدود للمعرفة وتنامي المعلومات والتقدم المطرد في وسائل التعليم والتعلم والاتصال جعل التعليم يواجه عددا من التحديات التي يجب مواجهتها والبحث عن الأسلوب الأمثل للتصدي لها فالانفجار المعرفي الرهيب الذي يرافقه الأعداد الكبيرة من المتعلمين ، يحتاجُ تغيرا حقيقيّا للممارسات البيداغوجية، تعليمًا وتعلمًا و مناهجَ وأدوات ،ولما كان المتعلم هو المستهدف الأول لهذا الجهد التعليمي ، والمدرس هو المنوط به هذه المهمة لدفع المتعلم إلى الهدف المرجو ،عليه مسايرة المستجد في الطرائق التعليمية ليستثمر أحسنها و خاصة إذا تعلق الأمر بتعليم اللغة.

ولما كانت اللغة–أي لغة– هي وسيلة ايصال المعرفة،نجد مختلف الأمم تولي أهمية بالغة للغاتها وذلك بتوفير الإمكانيات اللازمة لتطوير تعليمها وتحسين وسائله وأساليبه. وعادة ما يحظى مدرس اللغة بالعناية لرفع قدراته وتطوير برامج إعداده بما يتلاءم والتقدم والتطور

1- د/ سالم سعدون:جامعة البويرة -الجزائر- مداخلة للمؤتمر الدولي الرابع للغة العربية-دبي:الإمارات العربية المتحدة-06-10 ماي 2015.
المحور: ندوات اللغة العربية في الكليات و الجامعات و مؤسسات التعليم العالي.

التقني في هذا العصر.و إذا كان ذلك حال الأمم المتقدمة و الواعية بدور المدرس في النهوض باللغة وعملية التعليم،فما هو نصيب ذلك في البلدان العربية؟.

و اللغة العربية – شأنها في ذلك شأن أي لغة– قد حظيت بدرجة كبيرة من الرعاية والاهتمام ولا سيما في العصور الأولى للحضارة العربية الإسلامية ؛ لأنها الوعاء الذي يحوي أعظم تراث عرفته الإنسانية وهو القرآن الكريم ، فقد اعتنى العرب بتعليم لغتهم ونشرها في أرجاء البلاد التي فتحوها ؛ من أجل تعليم القرآن الكريم وفهم التشريعات الإسلامية،لذا نجد أهم التآليف في اللغة العربية و علومها في تلك الفترات الأولى من ازدهار الحضارة الاسلامية،فلا غرابة في ذلك أن نجد صناعة أهم و أعظم المعاجم العربية قد ظهرت في تلك الفترة و أبرز مثال على ذلك كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي صنعه في البدايات الأولى لعصر التأليف و هو القرن الثاني للهجرة. إلا أن هذه اللغة قد أصابها الضعف بسبب عوامل عدة، من أهمها سياسة الاستعمار الأوروبي الذي سيطر على معظم أرجاء الوطن العربي، تلك السياسة التي سعت إلى القضاء على اللغة العربية باعتبارها تمثل الهوية لهذه الشعوب.

وبعد تخلص البلاد العربية من الاستعمار الأوروبي اهتمت هذه الدول باللغة العربية وعملت على تطوير تعليمها وتحسين أساليبه ووسائله وبذلت – من أجل ذلك – جهودا معتبرة، تمثلت في عقد الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش التي تدرُسُ أوضاعَ اللغة العربية ومشكلاتها في الوطن العربي وتبحث في وسائل تطويرها وتحسين أساليب تعلمها ، ولعبت جامعة الدول العربية – ممثلة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – والجامعة العربية ومؤسسات البحث العلمي في سائر الأقطار العربية أدوارا كبيرة في هذا الشأن ؛ حيث شجَّعت

الباحثين على دراسة أوضاع اللغة العربية وبحث مشكلاتها في الوطن العربي بهدف الوصول إلى رؤى سليمة لتطوير تعليمها وتحسين أساليب تعلمها2.و إذا كان ذلك وضع اللغة العربية في الأقطار العربية التي رزحت دهرا من الزمن تحت نير الاستعمار،فإن وضع الجزائر يكاد يكون استثنائيا في الوطن العربي حيث تعرضت لاستعمار طال أمده من جهة،و كان هدفه اجتثاث أحد مقومات هذه الأمة و هي اللغة العربية،ليس لكونها لسانها بل لكونها الحافظة لدينها المستهدف بالدرجة الأولى من طرف السياسة الاستعمارية الفرنسية.و بعد استرجاع السيادة الوطنية بدأ التفكير في استرجاع مكانة اللغة العربية و تعميمها في مراحل التدريس المختلفة.

و ادراكا بأن المدرس هو حجر الزاوية في صرح العملية التعليمية فإن مدرس اللغة العربية التي بها يتم تعليم المواد الدراسية الأخرى أُعطي المكانة اللازمة سواء بتكوين المدرسين محليا أو باستقدام أساتذة من الأقطار العربية الأخرى.و لم يدم الوقت طويلا،فبفضل سياسة تعميم التعليم و مجانيته،تمكنت الجامعة الجزائرية من تخريج أولى الدفعات من المدرسين ذوي الكفاءات العلمية ،و تبع ذلك إصلاح تعليمي يواكب متطلبات العصر ويساير الاتجاهات المعاصرة في مجال التكوين و البحث العلمي .و عممت اللغة العربية كلغة تدريس في مراحل الابتدائي و الإعدادي و الثانوي،ثم دخلت إلى الجامعة كلغة تدريس لتخصصات العلوم الإنسانية و الاجتماعية و الآداب و العلوم القانونية و العلوم الاقتصادية،و أستثني من ذلك العلوم الدقيقة و التكنولوجيا و علوم الطب التي تدرس باللغة الفرنسية.

2- راجع: د . رضا أحمد حافظ الأدغم،تطْوِيرُ بَرْنَامَجِ إِعْدَادِ مُعَلِّمِيالُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ضَوْءِ مُتَطَلَّبَاتِ الْعَصْرِ وَمُتَغَيِّرَاتِهِ،http://www.angelfire.com

و إلى جانب الاهتمام بتعميم اللغة العربية في مختلف نواحي الحياة و تكريسها كلغة تدريس و لغة تعامل في الإدارة و مختلف مؤسسات الدولة،اهتمت الدولة بالتعليم و إصلاحه من خلال سلسلة من الإصلاحات أهمها إصلاح 1971،ثم تبعه إصلاحات مكملة آخرها إصلاح التعليم (نظام ل م د) الذي شرعت الجامعة الجزائرية في تطبيقه بداية من السنة الجامعية 2004-2005 في مؤسسات جامعية نموذجية ثم عمم بداية من 2010.

و هذا النظام الذي يدخل في إطار منظور عالمي و يسعى إلى مواكبة التطور الحاصل في التعليم الجامعي على المستوى العالمي،استحدث مجموعة من الآليات البيداغوجية المرافقة التي تجعل الطالب في صميم العملية البيداغوجية،فبعدما كان الطالب متلقيا و الأستاذ ملقنا أصبحا شريكين في العملية،و لتحقيق هذا الهدف أدخلت مجموعة من الممارسات البيداغوجية الجديدة التي تسهم في استحداث طرائق بيداغوجية ملائمة و مكيفة لقدرات و اهتمام الطالب.

دور الممارسات البيداغوجية في التعليم العالي:

إذا كنا نعرف اهتماما و أبحاثا عن الممارسات البيداغوجية في المراحل السابقة عن الجامعة،فإن البحث في الممارسات البيداغوجية عند الأساتذة و الطلبة في الجامعة تبقى غير مطروقة بالشكل الذي يكشف عن حقيقة الفعل البيداغوجي بالجامعة بكل سلبياته وإيجابياته في خضم النظام الجديد.

و البيداغوجية مفهوم نوقش بإسهاب و على نطاق واسع من طرف الباحثين في علوم التربية،و مفردات هذا المجال متعددة،لكنها متجانسة،و هذا المفهوم له حقل معجمي كبير يحتوي بداخله مصطلح الممارسات البيداغوجية،و رغم أن هذا المصطلح هو الأكثر استعمالا و استخداما لكنه غالبا ما يتداخل مع غيره من المصطلحات الأخرى مثل مصطلح طرائق

التدريس /طرائق البيداغوجيةMéthodes pédagogiques،ومصطلح نماذج تربوية/نماذج بيداغوجية Modèles pédagogiques.

و يفرق الباحثون بين هذه المصطلحات فبينما يعد النموذج التربوي /البيداغوجي هو المبدأ التوجيهي –Principe conducteur–، تعد الطرائق البيداغوجية/التدريس هي كيفية الانجاز و تجسيدها في الواقع ––Mode de réalisation،في حين تعد الممارسة البيداغوجية هي ثمرة التفاعل –Interactivité–بين الأستاذ و الطالب.

وفي سياق الممارسة البيداغوجية تدخل أحداث غير متوقعة تجعل الممارسة البيداغوجية لا تتبع دائما مسارا محددا مسبقا، فسؤال من طالب قد يغير مسار الممارسة البيداغوجية،و وراء إشكاليات التعريفات هناك ممارسات الأساتذة التي يصدر عنها مجموعة من التساؤلات.لكن العودة إلى واقع الممارسات البيداغوجية في الجامعة ،نلحظ عدم التحكم فيها ويعود القصور فيها إلى مجموعة من الأسباب.....

رغم قلة الأبحاث في هذه العملية، فإن بعض الدراسات و المقاربات و الأيام الدراسية التي حاولت أن تعالج الممارسات البيداغوجية للأساتذة في الجامعة الجزائرية تبقى غير وافية،وهناك معوقات لعدم الكشف عنها منها الفرق الشاسع بين الممارسات المعلنة والممارسات الفعلية المكرسة في الميدان.حتى إن هناك من يعتقد أن البيداغوجية هي مسألة إدارية تتلخص في كيفية تسيير مصالح الدراسة وبالتالي إعفاء الأستاذ من كل خلل بيداغوجي أسهم سلبا في تكوين الطالب.كما أن الحديث عن البيداغوجية في الجامعة كثيرا ما يحيل إلى التركيز على الترتيبات التنظيمية(نظام التدريس،التسجيل،الامتحانات،التقييم،الانتقال...)و لا يحيل إلى الممارسات البيداغوجية للأستاذ.

و لدرء هذا الخلل في الممارسة البيداغوجية في الجامعة ،تضمنت استراتيجية التطوير والإصلاح لقطاع التعليم العالي و البحث العلمي أهدافا تطويرية،وعمليات إصلاحية وعددا من تدابير الدعم و الإسناد.و ترمي هذه الاستراتيجية إلى تطوير البيداغوجية الجامعية و تمكينها من الانتقال إلي طور جديد تتوطد فيه النوعية والحكامة.

و هذه النظرة البيداغوجية انسحبت على العملية البيداغوجية في أقسام اللغة العربية وآدابها،أين أصبح درس اللغة العربية يبتعد عن التلقين و يعتمد أكثر على اشراك الطالب.

الممارسة البيداغوجية في تقديم الدروس و أثرها على التحصيل العلمي:

إن واقع الميدان يظهر صعوبة متابعة الطلبة للمحاضرات ،فهي شبه محاضرات مونولوجية *conferences monologues* يخاطب فيها الأستاذ نفسه،أو مونولوجات تعبيرية *Monologues expressifs* ،التي يعاني الطالب كثيرا في متابعتها لغياب التفاعل بين الأستاذ والطالب،و هو نموذج بيداغوجي تقليدي ،لا يزال محل انتقادات مختلفة. ووعيا أو تقديرا بعدم ملاءمة هذا النموذج البيداغوجي الجامعي(النظام الكلاسيكي) للطلبة استدعى ذلك طرائق بيداغوجية مناسبة/ملائمة،استلزمت التفكير في البيداغوجية لإدماج الطلبة أكثر في المحيط الجامعي و الإسهام في نجاحهم،و ذلك لتجنب التسرب المبكر Décrochage précoce.و من هنا جاءت الحاجة إلى تطوير الممارسة البيداغوجية ب:

- تحسين و تطوير البرامج الدراسية و يمكن اعتبار البدايات الأولى في بناء عروض التكوين لم تنبثق عن رؤية شاملة،وعن مخطط حقيقي لتطوير المسار التكويني،و لم يكن التفكير فيه معمقا من قبل فرق التكوين مما أظهر فيما بعد نقائص تتمثل في:

أ- تزايد عدد العروض بحيث يتعدى القدرات البشرية و المادية للأقسام والكليات والجامعات. بحيث أنه لوحظ أن المراكز و الجامعات الصغرى التي يقل فيها الأساتذة ذوو الرتب العليا هي المؤسسات التي أُعتمد فيها أكثر العروض .

ب-عدم مراعاة الكفاءات العلمية الموجودة و حاجيات المحيط الاجتماعي – الاقتصادي.

ج- عدم تناسق برامج التعليم مع الأحجام الساعية و الأنماط الجديدة للتعليم في نظام ل م د، وفتح مسالك التكوين لها نفس أهداف التكوين مع أن مضامينها مختلفة تماما.3

و هذه النقائص جعلت الوصاية تستدركها بتدابير أخرى كإنشاء اللجان البيداغوجية الوطنية للميادين،التي كان من أهم أدوارها و أهدافها إعادة النظر في عروض التكوين وكان من نتائج ذلك التقليص المحسوس في عدد عروض التكوين وفروعها، حيث تمّ تجميعها في قواعد معرفية مشتركة.و بالنسبة لميدان اللغة و الأدب العربي،ضبط الميدان في جذع مشترك في السنة الأولى،و ثلاثة فروع في السنة الثانية،و سبع تخصصات في السنة الثالثة4.

و لم يهمل في هذا التصور الشامل مكانة اللغة العربية في البرامج الدراسية،بل أُجريَ تحسين لها مقارنة مع البرامج المعتمدة في النظام المسمى الكلاسيكي،و بإجراء مقارنة بين البرنامجين في النظامين الكلاسيكي ونظام(ل م د)، نلحظ مدى استدراك النقص الموجود في البرنامج السابق من حيث كم المواد اللغوية و نوعها ،حيث أدخلت مواد جديدة تراعي التطور الحاصل

3- الجلسات الوطنية للتعليم العالي و البحث العلمي-التقرير الوطني للتقويم المرحلي لتطبيق إصلاح التعليم العالي،19- 20 ماي 2008.

4- من اقتراح اللجنة البيداغوجية لميدان اللغة و الأدب العربي،و تمت المصادقة من اللجنة الوطنية للتأهيل على الجذع المشترك الذي شرع في تطبيقه في السنة الجامعية 2014/2013،والمصادقة على الفروع الثلاثة:دراسات لغوية و دراسات ادبية و دراسات نقدية.و اللجنة الوطنية تشرع حاليا في اعداد مفردات التخصصات السبعة :فرع الدراسات اللغوية اللغوي(اللسانيات اللسانيات العامة و اللسانيات التطبيقية)،فرع الدراسات الأدبية(الأدب الجزائري،الأدب المقارن و العالمي،الأدب العربي)،فرع الدراسات النقدية(النقد و الدراسات الأدبية و النقد و المناهج).

في الدراسات اللغوية بصفة عامة،و تراعي الدوافع التي لها أثرها في عملية التعلم بوجه عام، فالإنسان الذي لا يميل إلى شيء معين ولا يرغب في تعلمه، لا يمكن أن يكتسب مهارات هذا الشيء وعلى هذا الأساس أُعتمد تكوين المهارات اللغوية من حيث السهولة والصعوبة5.ومن خلال الجدول التالي يظهر مدى التحسين الذي مس المواد المكونة لبرامج التكوين في ليسانس اللغة العربية و آدابها.

5- أنظر مرفقات برامج التكوين.

جدول يوضح أهم التغييرات المستحدثة في برنامج التكوين في اللغة العربية و آدابها:

النظام الدراسي		الكلاسيك والحجم الساعي	ل م د والحجم الساعي			
المواد اللغوية						
السنة الدراسية	المادة					
السنة الأولى	-نحو و صرف	ن+ت=03 سا	سداسي 1	علم الصرف		ن+ت=03 سا
	-اللسانيات العامة	ن+ت=03 سا	سداسي 2	علم النحو		ن+ت=03 سا
السنة الثانية	نحو و صرف	ن+ت=03 سا	سداسي 3	علم الصرف2		ن+ت=03 سا
	صوتيات	ت=1 سا30د	سداسي 4	علم النحو2		ن+ت=03 سا
	المعجمية	ن+ت=03 سا	سداسي3	لسانيات عامة		ن+ت=03 سا
			سداسي4	لسانيات تطبيقية		ن+ت=03 سا
السنة الثالثة	أصول النحو و مدارسه	ن+ت=03 سا	سداسي5	تخصص/لسانيات تطبيقية	تخصص/لسانيات عامة	
				التعليميات التطبيقية	لسانيات عربية	
				تعليمية اللغة العربية	المدارس النحوية	
				تطبيقات لغوية	المصطلحية	
				البرمجة اللغوية	المعجمية	
				الإعجاز اللّغوي		
				ترجمة المصطلحات اللغوية	ترجمة المصطلحات اللغوية	
	المدارس اللسانية	ن+ت=03 سا	سداسي6	التعليميات التطبيقية	علم التراكيب	
				اللسانيات الحاسوبية	النحو الوظيفي.	
				التطبيق النحوي	أصول النحو	
				التطبيق الصرفي	علم المفردات	
				التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية	الصوتيات	
السنة الرابعة	اللسانيات التطبيقية	ن+ت=03 سا				
المجموع						

إن تحسين البرامج التكوينية و تطويرها يدخل في صميم الممارسة البيداغوجية الفعالة،فكلما كانت برامج ومضامين عروض التكوين جيدة و جذابة كلما كانت الممارسة البيداغوجية فعالة تحقق التفاعل بين المُعلم و المُتعلم.و لا يمكن الحديث عن بيداغوجية فعالة إلا حين يحقق الأستاذ دمج برنامج متماسك مع تدريس جيد،وهذا يعني ادماج الطالب في عملية التعليم والتعلم.فالتعليم هو فن بقدر ما هو علم،لذا وجب على الأستاذ أن يوازن بينهما.فمهما تشابهت و تقاربت الممارسات البيداغوجية بين الأساتذة نبقى نسمع عن نجاح نفس الطلبة عند أساتذة ورسوبهم عند غيرهم،و كيف أن نفس الطريقة البيداغوجية تجذب الطالب عند أستاذ و تنفَره من أستاذ آخر،هي تساؤلات تخص فن التعليم.و فن التعليم في تدريس الآداب واللغات خاصة،يتطلب درجة من الحدس و الإبداع و التعبير،فعندما نقدم معلومات موجودة فنحن هنا في مجال العلم و عندما نبحث فيها و نناقشها و نحللها نحن هنا في مجال فن التعليم الذي يحقق التواصل (خلق تفاعلات متعددة مع الطلبة)،تساعدنا على ادراك مواقفهم و نزوعهم ودوافعهم و اعتقاداتهم.و الغاية من هذه العملية البيداغوجية الجيدة هو تكوين مُتعلمين مستقلين و واعين بحاجاتهم الخاصة و نقلهم من متلقين للمعارف و محاولة فهمها إلى القدرة على حوصلتها و تقييمها. و كلما قام الأستاذ بتخطيط لممارسته البيداغوجية التي تقوم على مبدأ التكيف إلا حقق تفاعلا بينه وبين الطلبة،وإغفال ذلك سيؤدي إلى تثبيط عزائمهم و بالتالي الفشل في إدماجهم وتفاعلهم مع الحصة.و تجسيدا لهذه المقاربة البيداغوجية في تدريس المواد اللغوية قدمت توجيهات لتجاوز الطريقة التقليدية في تدريس اللغة العربية،فلا يجب أن يقتصر ذلك على تلقين القواعد الجافة التي لا تسهم في تكوين الملكة اللغوية الصحيحة للطالب،ومن

هنا جاء التوجه نحو تعليم اللغة العربية من خلال شواهد و نصوص إبداعية تستميل الطالب ولا تنفره من مواد اللغة العربية.

و رغم المجهودات المبذولة و الإصلاحات المعتمدة تبقى اللغة العربية بعيدة عن الأهداف المسطرة لها،بل لوحظ هناك تراجع أمام زحف اللغات الأجنبية.و لعل ما فرضه العصر من تكنولوجيات جديدة مثل الإنترنت و الحاسوب و ما يوفره سوق العمل من مناصب كثيرا ما يشترط فيها اتقان اللغات الأجنبية،و عدم تعميمها في كل التخصصات في الجامعة مثل تخصصات التكنولوجيا و غيرها،جعل من اللغة العربية محصورة في أقسام اللغة العربية والعلوم الإنسانية.و هنا يطرح إشكال دور أقسام اللغة العربية في رفع مستوى العربية بمفردها و إن كان لها ذلك فما هي المجالات المتاحة لها لتحقيق ذلك؟.

<u>مراجع مادة المداخلة(النصوص التنظيمية)</u>

- المرسوم التنفيذي رقم 08-265 المؤرخ في 19 أوت المتضمن نظام الدراسة لأجل الحصول على شهادة الليسانس، و شهادة الماستر و شهادة الدكتوراه.
- المرسوم التنفيذي رقم 09-03 المؤرخ في 03 جانفي 2009 المتضمن توضيح مهمة الوصاية و المحدد لإجراءات وضعها حيز التنفيذ.
- القرار رقم 711 المؤرخ في المؤرخ في 03 نوفمبر 2011،المحدد لقواعد المشتركة للتنظيم و التسيير البيداغوجيين للدراسات الجامعية لنيل شهادتي الليسانس والماستر
- القرار 712 المؤرخ في 03 نوفمبر 2011،المتضمن كيفيات التقييم والتدرج والتوجيه في طوري الدراسات لنيل شهادتي الليسانس والماستر.
- القرار رقم 167 المؤرخ في 31 ماي 2010،المتضمن إنشاء اللجنة الوطنية لنظام ضمان النوعية في ميدان التعليم العالي و البحث العلمي.

- توصيات اللجنة الوطنية للتأهيل التابعة لوزارة التعليم العالي و البحث العلمي.
- توصيات اللجنة البيداغوجية الوطنية لميدان اللغة و الأدب العربي.

المراجع العامة:

- عبد الله بوقصة،تعليمية اللغة العربية في الجزائر،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،العدد 12،2014،الجزائر.
- محمد عبد الوهاب عبد الجبارعبد الجبار،طرائق التدريس المتبعة في قسم اللغة العربية–جامعة ديالي،مجلة الفتح،العدد 33،2008،العراق.
- UNESCO: Reforme de l'éducation et innovation pédagogique en Algérie.2006.
- UNESCO: Données mondiales de l'éducation. Algerie.VII Ed.2010.